المطلب الحادي عشر

معاني التأويل في القرآن والسنة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تحدثنا في المطلب السابق عن منهج السلف في توحيد الصفات، وبينا أن التوحيد عند السلف توحيد يؤدي إلى إثبات الصفات دون تعطيلها، وأن طريقة السلف في إثبات الصفات هي النفي المجمل والإثبات المفصل.

وعلمنا أن الممثل يعبد صنما، والمعطل يعبد عدما، وأن طريقة السلف في النفي هي النفي المتضمن لكمال الضد، وأن طريقتهم في إثبات الصفات استخدام قياس الأولى، وأنه لا بد للموحد أن يحذر من التعطيل ورد النصوص الثابتة في الكتاب والسنة بحجة نفي التشبيه، وكذلك لا بد لمن آمن بصفات الله أن يحذر من التأويل بغير دليل؛ لأنه تحريف للكلم عن مواضعه، وعلمنا أيضا أن كل ممثل معطل، وأن كل معطل ممثل، وأن مذهب السلف الصالح مذهب وسط بين التعطيل والتمثيل.

وفي هذا المطلب بإذن الله نتناول الحديث عن معاني التأويل في

القرآن والسنة، وأنواع التأويلات الباطلة، وذلك من خلال المحاور التالية:

- **التأويل لغة رجوع الكلام ومآله إلى ما ينطبق عليه.**

قال ابن منظور الأفريقي: (آل إِليه وَأْلاً، ووُؤُولاً، وَوَئيلاً، وواءَل مُواءَلةً، ووِئالاً لجأَ، والوَأْل والمَوْئِل الملجأُ، وقد وأَل إِليه يَئِل وَأْلاً ووُؤُولاً، أَي لجأَ) [1].

والتأويل مصدر أوّله يؤوله تأويلا، مثل حول تحويلا، وقولهم: آل يؤول، أي عاد إلى كذا ورجع إليه، ومنه المآل وهو ما يؤول إليه الشيء، ومما يوافقه في اشتقاقه الآل، فإن آل الشخص من يؤول إليه كآل إبراهيم وآل لوط وآل فرعون.

والتأويل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه، فالتأويل التصيير، وأولته تأويلا إذا صيرته إليه فآل وتأول. وقال الجوهري التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء. ثم تسمى العاقبة تأويلا؛ لأن الأمر يصير إليها ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء:٥٩.

وتسمى حقيقة الشيء المخبر به تأويلا؛ لأن الأمر ينتهي إليها، ومنه

---

(١) لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١١/٧١٥ نشر دار صادر، بيروت.

قول الله تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴾ الأعراف:٥٣ [(١)].

• **التأويل بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.**

المعنى الأول الذي عرف بين الصحابة والتابعين وسائر السلف المتقدمين، هو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، أو الحقيقة المعبرة عن مدلول الكلام [(٢)].

وهذا المعنى هو الذي نطقت به آيات الكتاب، فلقد تكررت كلمة التأويل في القرآن في أكثر من عشرة مواضع، كان معناها في جميع استعمالاتها، الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

وتأويل الخبر عند السلف الصالح وقوعه، وحدوث ما أخبر عنه، سواء كان ذلك في الماضي، أو الحاضر، أو المستقبل. وتأويل الأمر تنفيذه وطاعته، ولهذا قال سفيان بن عيينة: (السُّنَّةُ هِيَ تَأويلُ الأمرِ وَالنّهْي) [(٣)]. فإن نفس الفعل المأمور به هو تأويل الأمر به، ونفس الموجود المخبر عنه هو تأويل الخبر، والكلام خبر وأمر.

قال ابن القيم: (فالتأويل في كتاب الله سبحانه وتعالى المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في

---

(١) مجموع الفتاوى ١٣/٢٩١، والصواعق المرسلة ص١٧٦.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٥/٣٨٢، والرسالة التدمرية ٣/٥٦.

(٣) انظر الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٥٦.

الخارج، فإن الكلام نوعان: خبر وطلب، فتأويل الخبر هو الحقيقة، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به، وتأويل ما أخبر الله به من صفاته وأفعاله نفس ما هو عليه سبحانه، وما هو موصوف به من الصفات العلى، وتأويل الأمر هو نفس الأفعال المأمور) [(١)].

• أدلة القرآن على المعنى الأول للتأويل .

١- قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ يوسف: ١٠٠.

قال ابن جرير: (قال يوسف لأبيه: يا أبت، هذا السجود الذي سجدتَ، أنت وأمّي وإخوتي لي، تأويل رؤياي من قبل، يقول: ما آلت إليه رؤياي التي كنت رأيتها، وهي رؤياه التي كان رآها قبل صنيع إخوته به ما صنعوا، أنَّ أحد عشر كوكبًا، والشمس والقمر له ساجدون، قد جعلها ربي حقًّا، يقول: قد حقّقها ربي لمجيء تأويلها على الصحَّة) [(٢)].

٢- قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ

---

(١) الصواعق المرسلة ص١٧٧.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٧/٣٠٥.

نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ ﴿٥٣﴾ ﴾ الأعراف:٥٣.

قال ابن كثير: (هل ينظرون إلا تأويله، أي ما وعدوا به من العذاب والنكال والجنة والنار، قاله مجاهد وغير واحد، وقال مالك: ثوابه، وقال الربيع: لا يزال يجيء من تأويله أمر حتى يتم يوم الحساب، حتى يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فيتم تأويله يومئذ، وقوله: يوم يأتي تأويله، أي يوم القيامة. قال ابن عباس: يقول الذين نسوه من قبل، أي تركوا العمل به، وتناسوه في الدار الدنيا، قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا، أي في خلاصنا مما صرنا إليه مما نحن فيه، أو نرد إلى الدار الدنيا، فنعمل غير الذي كنا نعمل) [١].

٣- قوله تعالى: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ يونس:٣٩.

قال البغوي: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، يعني القرآن، كذبوا به ولم يحيطوا بعلمه، ولما يأتهم تأويله، أي عاقبة ما وعد الله في القرآن أنه يؤول إليه أمرهم من العقوبة، يريد أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم) [٢].

وقال الواحدي: (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، أي بما في القرآن من الجنة والنار والبعث والقيامة، ولما يأتهم تأويله، ولم يأتهم بعد

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/٢٩٤.

(٢) تفسير البغوي ١/١٣٤.

حقيقة ما وعدوا في الكتاب، كذلك كذب الذين من قبلهم بالبعث والقيام) [١].

٤- قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٣٦ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ ﴾ يوسف:٣٦/٤١.

٥- قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ آل عمران:٧.

• أدلة السنة على المعنى الأول للتأويل .

١- ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُول فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبْحَانَكَ اللهمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللهمَّ اغْفِرْ لي، يَتَأَوَّل القُرْآنَ) [٢].

وهي تعني أن النبي ﷺ كان عند ركوعه وسجوده في الصلاة ينفذ

---

(١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي ٤٩٨/١.

(٢) البخاري في الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود ٢٨١/١ (٧٨٤)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ (٤٨٤).

أمر الله ﷻ الذي ورد في قوله: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ النصر:٣. فالتأويل عندها هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وتأويل الأمر عندها تنفيذه، والشاهد واضح جدا.

٢- وروى البخاري من حديث أسَامَة بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنْ الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ كَمَا أَمَرَهُمْ اللهُ، وَيَصْبِرُونَ عَلى الأذى، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَأَوَّل العَفْوَ مَا أَمَرَهُ اللهُ بِهِ حَتَّى أَذنَ اللهُ فِيهِمْ، فَلمَّا غزَا رَسُول اللهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَل اللهُ بِهِ صَنَادِيدَ كُفَّارِ قُرَيْشٍ) [(١)].

والشاهد أن التأويل الذي يعنيه أسامة بن زيد رضي الله عنه هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وأن تأويل الأمر عنده تنفيذه، فقوله بأن النبي ﷺ كان يتأول العفو أي ينفذ الأمر بالعفو. هذا الأمر الذي ورد في قوله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦ ﴾ آل عمران: ١٨٦.

وكذلك الأمر بالعفو في قول الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب ٤/١٦٦٣ (٤٢٩٠).

﴿ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ البقرة:١٠٩. فالتأويل الذي استخدمه الصحابة ﷺ هو ما ورد معناه في القرآن، وهو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وكان الصحابة ﷺ يرون أن تأويل الخبر وقوعه، وأن تأويل الأمر تنفيذه.

٣- اجتماع الصحابة على تأويل قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المائدة:١٠٥. وأن زمن وقوع الأمر بلزوم المسلم نفسه، وترك أصحاب المنكر، ليس هو زمن القوة وتماسك الخلافة الذي كان في عصرهم.

روى الترمذي وصححه، وصححه الشيخ الألباني، أن أبا بكر الصديق ﷺ قال بعد أن حَمِدَ اللهَ ﷻ وأثنى عليه: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الآيَةَ وَتَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوَاضِعِهَا: وَإِنَّا سَمِعْنَا النَّبِيَّ ﷺ يَقُول: إِنَّ النَّاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلمْ يَأْخُذوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ اللهُ بِعِقَابٍ) [(١)]. وفي رواية ابن حبان: (إن الناس إذا رأوا منكرا، فلم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقابه) [(٢)].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القران، باب ومن سورة المائدة ٢٥٦/٥ (٣٠٥٧)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، وانظر صحيح الجامع (١٩٧٣) ورواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٢٢/٤(٤٣٣٨).

(٢) رواه ابن حبان في البر والإحسان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٤٠/١ (٣٠٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

وفي رواية أخرى أنه ﷺ قال: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا ثم لا يغيرون، إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب) [(١)].

وقد رأى أبو بكر الصديق ﷺ في تأويل الآية أنها ليست حجة لترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنهم في عصر الخلافة الرشيدة وزمان قوة الإسلام، فلا بد لكل مسلم رأي منكرا أن يغيره، وإن عجز طلب من المحتسبين القائمين من قبل المسئولين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يغيروه.

وكذلك كان فهم أبي ثعلبة الخُشَنِيَّ ﷺ فقد روى أبو داود وصحح الألباني بعض ألفاظه عن أَبي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيُّ أنه قال: (سَأَلتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيَّ فَقُلتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ، كَيْفَ تَقُول فِي هَذهِ الآيَةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ المائدة:١٠٥. قَال: أَمَا وَاللهِ لقَدْ سَأَلتَ عَنْهَا خَبِيرًا، سَأَلتُ عَنْهَا رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال: بَل ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنْ المُنْكَرِ، حَتَّى إذا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُل ذي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَليْكَ، يَعْنِي بِنَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ العَوَامَّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْل قَبْضٍ عَلى الجَمْرِ، للعَامِلِ فِيهِمْ مِثْل أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلا

(١) صحيح، مشكاة المصابيح، كتاب الآداب، باب السلام(٥١٤٢).

يَعْمَلونَ مِثْل عَمَلهِ، وَزَادَنِي غَيْرُهُ، قَال يَا رَسُول اللهِ: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَال: أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ) (١).

والذي يجمع ما سبق على أن التأويل الذي استخدمه الصحابة ﷺ هو الحقيقية التي يؤول إليها الكلام، وأن تأويل الخبر عندهم وقوعه، وتأويل الأمر تنفيذه، هو ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ في بيان معنى التأويل.

روى البيهقي عن أبي العالية قال: كانوا عند عبد الله، فوقع بين رجلين ما يقع بين الناس، فوثب كل واحد منهما إلى صاحبه، فقال بعضهم: ألا أقوم فأمرهما بالمعروف، وأنهاهما عن المنكر؟ فقال بعضهم: عليك نفسك، إن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ المائدة:١٠٥.

فسمعها عبد الله بن مسعود ﷺ فقال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم، فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم، ثم قال: إن القرآن نزل حيث نزل فمنه آي قد مضي تأويلهن قبل أن ينزلن، ومنه آي وقع

(١) رواه أبو داود في كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ١٢٣/٤ (٤٣٤١)، والترمذي في كتاب تفسير القران، باب ومن سورة المائدة ٢٥٧/٥ (٣٠٥٨)، وضعفه الألباني إلا بعض ألفاظه ورد في روايات أخرى صحيحة، انظر مشكاة المصابيح (٥١٤٤) وضعيف الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في التوبة ١٦٢/٢ (١٨٤٦) نشر مكتبة المعارف الرياض.

تأويلهن على عهد النبي ﷺ، ومنه آي وقع تأويلهن بعد النبي ﷺ بيسير، ومنه آي يقع تأويلهن بعد اليوم، ومنه آي يقع تأويلهن في آخر الزمان، ومنه آي يقع تأويلهن يوم القيامة، ما ذكر من الحساب والجنة والنار، فما دامت قلوبكم وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعا، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمروا وانهوا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وألبستم شيعا، وذاق بعضكم بأس بعض، فامرؤ ونفسه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية) [١].

قال ابن تيمية: (فابن مسعود ﷺ قد ذكر في هذا الكلام تأويل الأمر وتأويل الخبر، فهذه الآية: عليكم أنفسكم من باب الأمر، وما ذكر من الحساب والقيامة من باب الخبر، وقد تبين أن تأويل الخبر هو وجود المخبر به، وتأويل الأمر هو فعل المأمور به، فالآية التي مضي تأويلها قبل نزولها، هي من باب الخبر يقع الشيء فيذكره الله كما ذكر ما ذكره من قول المشركين للرسول وتكذيبهم له، وهي وإن مضي تأويلها فهي عبرة، ومعناها ثابت في نظيرها) [٢].

وقال: (وأما لفظ التأويل في التنزيل، فمعناه الحقيقة التي يؤول إليها الخطاب، وهي نفس الحقائق التي أخبر الله عنها، فتأويل ما أخبر

---

(١) السنن الكبري للبيهقي، كتاب آداب القاضي، باب ما يستدل به على أن القضاء وسائر أعمال الولاة مما يكون أمرا بالمعروف أو نهيا عن منكر من فروض الكفايات ٩٢/١٠ (١٩٩٨١) .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٧١/١٧.

به عن اليوم الآخر، هو نفس ما يكون في اليوم الآخر، وتأويل ما أخبر به عن نفسه، هو نفسه المقدسة الموصوفة بصفاته العلية، وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله، ولهذا كان السلف يقولون: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فيثبتون العلم بالاستواء، وهو التأويل الذي بمعنى التفسير، وهو معرفة المراد بالكلام حتى يتدبر ويعقل ويفقه، ويقولون: الكيف مجهول، وهو التأويل الذي انفرد الله بعلمه، وهو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو) [١].

- **المعنى الثاني للتأويل هو التفسير والبيان.**

المعنى الثاني للتأويل في عرف السلف الصالح هو التفسير والبيان، ويقصدون به كشف المعنى، وتوضيح مراد المتكلم، وهذا التأويل كالتفسير، يحمد حقه، ويرد باطله.

ومثاله دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: (اللهمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِمْهُ التَّأْوِيل) [٢].

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما التأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث، فمرادهم به معنى التفسير والبيان،

---

(١) درء التعارض ٣/٩٥.

(٢) رواه البخاري بلفظ (اللهم فقهه في الدين) ١/٦٦ (١٤٣) ورواه أحمد بالزيادة المذكورة في مسند عبد الله بن عباس ﷺ ١/٣٢٨ (٣٠٣٣)، قال الأرنؤوط: إسناده قوي علي شرط مسلم، ورواه الحاكم في المستدرك ٣/٦١٥ (٦٢٨٠)، وقال الذهبي في التلخيص صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٨٩).

ومنه قول ابن جرير وغيره: القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا. يريد تفسيره، ومنه قول الإمام أحمد في كتابه في الرد على الجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله [١]، فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها، وهي تفسيرها المراد بها، وهو تأويلها عنده، فهذا التأويل يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله في الذهن، والأول يعود إلى وقوع حقيقته في الخارج) [٢].

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ الذينَ يَعْلمُونَ تَأْوِيلهُ) [٣].

قال ابن أبي العز شارح الطحاوية: (وَلقَدْ صَدَقَ ﷺ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لهُ وَقَال: اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلمْهُ التَّأْوِيل. رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَدُعَاؤُهُ ﷺ لا يُرَدُّ. قَال مُجَاهِدٌ: عَرَضْتُ المُصْحَفَ عَلى ابْنِ عَبَّاسٍ، مِنْ أَوَّلهِ إِلى آخِرِهِ، أَقِفُهُ عِنْدَ كُل آيَةٍ، وَأَسْأَلهُ عَنْهَا. وَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّقُول عَنْهُ أَنَّهُ تَكَلمَ فِي جَمِيعِ مَعَانِي القُرْآنِ، وَلمْ يَقُل عَنْ آيَةٍ: إِنَّهَا مِنَ المُتَشَابِهِ الذي لا يَعْلمُ أَحَدٌ تَأْوِيلهُ إِلا اللهُ. وَقَوْل

---

(١) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية، لناصر السنة وقامع البدعة الإمام أحمد بن حنبل ص٢٠، نشر المطبعة السلفية، القاهرة.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/١٧٨.

(٤) انظر ما رواه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٣/١٨٣) عن ابن عباس من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وانظر كذلك مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٧/٤٠٢.

الأَصْحَابِ رَحِمَهُمُ اللهُ فِي الأُصُول: إِنَّ المُتَشَابِهَ الحُرُوفُ المُقَطَّعَةُ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ، وَيُرْوَى هَذا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. مَعَ أَنَّ هَذهِ الحُرُوفَ قَدْ تَكَلمَ فِي مَعْنَاهَا أَكْثَرُ النَّاسِ) [(١)].

قال ابن تيمية: (التأويل بمعنى التفسير، هذا هو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وأمثاله من المصنفين في التفسير: واختلف علماء التأويل، ومجاهد إمام المفسرين، قال الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به، وعلى تفسيره يعتمد الشافعي وأحمد والبخاري وغيرهما، فإذا ذكر أنه يعلم تأويل المتشابه، فالمراد به معرفة تفسيره) [(٢)].

- **المعنى الثالث صرف اللفظ من معنى إلى آخر بدليل.**

ظهر للتأويل معنى جديد اشتهر في عرف المتأخرين من الفقهاء ورجال الأصول بمعنى صرف الآية عن معناها الظاهر إلى معنى آخر بدليل من الكتاب والسنة.

ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الزمر:٤٢.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ١/٢٣٤.

(٢) الرسالة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى ٣/٥٥.

فهو سبحانه يتوفاهم برسله الذين يتقدمهم ملك الموت كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ السجدة: ١١.

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنعام: ٦١.

وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦.

والله سبحانه وملائكته يعلمون ما توسوس به نفس العبد من حسنة وسيئة، والهم في النفس قبل العمل، فقوله: ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، هو قرب ذوات الملائكة وقرب علم الله، فذاتهم أقرب إلى قلب العبد من حبل الوريد، فيجوز أن يكون بعضهم أقرب إلى بعضه من بعض، ولهذا قال في تمام الآية: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ ق: ١٦. فقوله: "إذ" ظرف، فأخبر أنهم أقرب إليه من حبل الوريد حين يتلقى المتلقيان ما يقول، فهذا كله خبر عن الملائكة [(١)].

وقال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ﴾ القيامة: ١٦/١٨.

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/١٢٩ بتصرف.

والشاهد أن قوله تعالى: فإذا قرأناه. يراد به قراءة جبريل ﵇، لما ورد عند البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. قَالَ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ إذا نَزَل جِبْرِيل بِالوَحْيِ، وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَهُ وَشَفَتَيْهِ، فَيَشْتَدُّ عَلَيْهِ، وَكَانَ يُعْرَفُ مِنْهُ، فَأَنْزَل اللهُ الآيَةَ التِي فِي لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَل بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. قَال: عَلَيْنَا أَنْ نَجْمَعَهُ فِي صَدْرِكَ وَقُرْآنَهُ، فَإذا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. فَإذا أَنْزَلنَاهُ فَاسْتَمِعْ، ثمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ، عَلَيْنَا أَنْ نُبَيِّنَهُ بِلِسَانِكَ، قَال: فَكَانَ إِذا أَتَاهُ جِبْرِيل أَطْرَقَ، فَإِذا ذهَبَ قَرَأَهُ كَمَا وَعَدَهُ اللهُ ﷻ [١].

قال ابن القيم: (وبالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول ﷺ فهو المقبول، وما خالفه فهو المردود) [٢].

• **التحريف هو صرف اللفظ عن معناه بغير دليل.**

وقد وجد كثير من علماء الخلف من المعتزلة والمتكلمين الأشاعرة

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب تفسير سورة القيامة قوله تعالى: فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ٤/١٨٧٧ (٤٦٤٥). ومسلم في كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة ١/٣٣٠ (٤٤٨).

(٢) الصواعق المرسلة ص ١٨٧.

بغيتهم في هذا التأويل، واستخدموه بدليل أو بغير دليل، ليضفوا الشرعية على آرائهم، ويبرروا تعطيلهم لأوصاف الله ﷻ، فصرفوا معاني النصوص الظاهرة إلى معان ابتدعوها بغير دليل، وقاموا بلي أعناق النصوص وذبحها بصورة لا تخفى على عاقل، فقالوا في الاستواء كما سبق استيلاء وقهر هروبا من إثبات فوقية الله على خلقه، وقالوا: معنى في السماء، أي عذابه وسلطانه، ومعني اليدين القدرة، ومعني الوجه الذات، ومعني المجيء مجيء الأمر، ومعني النزول نزول الرحمة، ومعني الرضا إرادة الإكرام، والغضب إرادة الانتقام، والقدم مثل للردع والانزجار.

وهكذا أغلب الصفات حتى تشعر من أقوالهم بأن المتبادر إلى الذهن عند قراءة الكتاب والسنة معان باطلة، واعتقادات فاسدة، وأنه كان ينبغي أن يكون القرآن الكريم أحسن من هذا، وكان ينبغي لكلمات النبي ﷺ في الأحاديث أن تكون بغير هذه الألفاظ حتى لا يتكلفوا مشقة صرف الكلام عن معناه، وتأويله بغير دليل.

قال ابن تيمية: (وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، كتأويل من تأول استوى بمعنى استولى ونحوه، فهذا عند السلف والأئمة باطل لا حقيقة له، بل هو من باب تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته، فلا يقال في مثل هذا التأويل لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم، بل يقال فيه: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا

يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ يونس:١٨. كتأويلات الجهمية والقرامطة الباطنية، كتأويل من تأول الصلوات الخمس بمعرفة أسرارهم، والصيام بكتمان أسرارهم، والحج بزيارة شيوخهم، والإمام المبين بعلي بن أبي طالب، وأئمة الكفر بطلحة والزبير، والشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية، واللؤلؤ والمرجان بالحسن والحسين، والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، والبقرة بعائشة، وفرعون بالقلب، والنجم والقمر والشمس بالنفس والعقل ونحو ذلك، فهذه التأويلات من باب التحريف للكلم عن مواضعه، والإلحاد في آيات الله، وهي من باب الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ وكتابه.

ومثل هذه لا تُجعل حقا حتى يقال إن الله استأثر بعلمها، بل هي باطل مثل شهادة الزور.. وأصل وقوع أهل الضلال في مثل هذا التحريف الإعراض عن فهم كتاب الله تعالى كما فهمه الصحابة والتابعون، ومعارضة ما دل عليه بما يناقضه، وهذا هو من أعظم المحادة لله وللرسول، لكن على وجه النفاق والخداع) [(١)].

- **التحريف بالتأويل أقبح من التعطيل والتكييف والتمثيل.**

ذكر العلامة ابن القيم أن التأويل شر من التعطيل، فإنه يتضمن التشبيه والتعطيل، والتلاعب بالنصوص، وإساءة الظن بها، فإن المعطل والمؤول قد اشتركا في نفي حقائق الأسماء والصفات، وامتاز المؤول

(١) درء التعارض ٣/٣٠٨.

بتلاعبه بالنصوص، وانتهاكه لحرمتها، وإساءة الظن بها، ونسبة قائلها إلى التكلم بما ظاهره الضلال والإضلال، فجمعوا بين أربعة محاذير:

المحذور الأول: اعتقادهم أن ظاهر كلام الله ورسوله ﷺ المحال الباطل، ففهموا التشبيه أولا، ثم انتقلوا عنه إلى ما هو أكثر ضلالا.

المحذور الثاني: هو التعطيل فعطلوا حقائقها بناء منهم على ذلك الفهم الذي يليق بهم، ولا يليق بالرب جل جلاله.

المحذور الثالث: نسبة المتكلم الكامل العلم، الكامل البيان، التام النصح إلى ضد البيان والهدى والإرشاد، وإن المتحيرين المتهوكين أجادوا العبادة في هذا الباب وعبروا بعبارة لا توهم من الباطل ما أوهمته عبارة المتكلم بتلك النصوص، ولا ريب عند كل عاقل أن ذلك يتضمن أنهم كانوا أعلم منه، أو أفصح، أو أنصح للناس.

المحذور الرابع: تلاعبهم بالنصوص وانتهاك حرماتها فلو رأيتها وهم يلوكونها بأفواههم، وقد حلت بها المثلات، وتلاعبت بها أمواج التأويلات، وتقاذفت بها رياح الآراء، واحتوشتها رماح الأهواء، ونادى عليها أهل التأويل في سوق من يزيد، فبذل كل واحد في ثمنها من التأويلات ما يريد، فلو شاهدتها بينهم وقد تخطفتها أيدي الاحتمالات، ثم قيدت بعدما كانت مطلقة بأنواع الإشكالات، وعزلت عن سلطنة اليقين، وجعلت تحت حكم تأويل الجاهلين هذا، وطالما نصبت لها حبائل الإلحاد، وبقيت عرضة

للمطاعن والإفساد، وقعد النفاة على صراطها المستقيم بالدفع في صدورها والأعجاز، وقالوا: لا طريق لك علينا، وإن كان لا بد فعلى سبيل المجاز، فنحن أهل المعقولات، وأصحاب البراهين، وأنت أدلة لفظية، وظواهر سمعية، لا تفيد العلم ولا اليقين، فسندك آحاد، وهو عرضة للطعن في الناقلين، وإن صح وتواتر ففهم مراد المتكلم منه موقوف على انتفاء عشرة أشياء، لا سبيل إلى العلم بانتفائها عند الناظرين والباحثين، فلا إله إلا الله والله أكبر، كم هدمت بهذه المعاول من معاقل الإيمان، وكم أطلقت في نصوص الوحي من لسان كل جاهل أخرق، ومنافق أرعن، وطرقت لأعداء الدين الطريق، وفتحت الباب لكل مبتدع وزنديق (١).

ومن نظر في التأويلات المخالفة لحقائق النصوص رأى من ذلك ما يضحك عجبا، ويبكي حزنا، ويثير حمية للنصوص وغضبا، قد أعاد عذب النصوص ملحا أجاجا، وخرجت الناس من الهدى والعلم أفواجا، فتحيزت كل طائفة إلى طاغوتها، وتصادمت تصادم النصارى في شأن ناسوتها ولاهوتها، ثم تمالأ الكل على غزو جند الرحمن، ومعاداة حزب السنة والقرآن، فتداعوا إلى حربهم تداعي الأكلة إلى قصعتها، وقالوا: نحن وإن كنا مختلفين، فإنا على محاربة هذا الجند متفقون، فميلوا بنا عليهم ميلة واحدة حتى تعود دعوتهم باطلة، وكلمتهم خامدة، وَغَرّ المخدوعين كثرتُهم التي ما زادتهم عند

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ص٢٩٦ بتصرف.

الله ورسوله وحزبه إلا قلة، وقواعدهم التي ما زادتهم إلا ضلالا وبعدا عن الملة، وظنوا أنهم بجموعهم المعلولة يملئون قلوب أهل السنة إرهابا منهم وتعظيما [١].

وأكثر هذه التأويلات المخالفة للسلف الصالح من الصحابة والتابعين وأهل الحديث قاطبة وأئمة الإسلام، الذين لهم في الأمة لسان صدق، أكثر هذه التأويلات يتضمن من عبث المتكلم بالنصوص وسوء الظن بها من جنس ما تضمنه طعن الذين يلمزون الرسول ودينه من أهل النفاق والإلحاد، لما فيه من دعوى أن ظاهر كلامه إفك ومحال، وكفر وضلال، وتشبيه وتمثيل أو تخييل، ثم صرفها إلى معان يُعلم أن إرادتها بتلك الألفاظ من نوع الأحاجي والألغاز، لا يصدر ممن قَصْدُه نصح وبيان.

فالمدافعة عن كلام الله ورسوله ﷺ والذب عنه من أفضل الأعمال، وأحبها إلى الله، وأنفعها للعبد، ومن رزقه الله بصيرة نافذة، علم سخافة عقول هؤلاء المحرفين، وأنهم من أهل الضلال المبين، وأنهم إخوان الذين ذمهم الله ﷻ بأنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، الذين لا يفقهون، ولا يتدبرون القول، الذين شبههم الله ﷻ بالحمر المستنفرة تارة، وبالحمار الذي يحمل أسفارا تارة.

ومن قَبِل التأويلات المفتراة على الله ورسوله ﷺ التي هي تحريف

---

(١) السابق ص ٢٩٧ بتصرف.

لكلام الله ورسوله ﷺ عن مواضعه، فهو من جنس الذين قبلوا قرآن مسيلمة المختلق المفترى، وقد زعم أنه شريك لرسول الله ﷺ، وكان رئيسا كبيرا مطاعا بجعله شريكا له في التصديق والطاعة والقبول، إن لم يقدمه عليه، لاسيما الغالية من الجهمية والباطنية والرافضة والاتحادية، فإن عندهم من كلام ساداتهم وكبرائهم ما يضاهون به كلام الله ورسوله ﷺ.

وكثيرا ما يقدمونه عليه علما وعملا، ويدعون فيه من التحقيق والتدقيق والعلم والعرفان ما لا يثبتون مثله للسنة والقرآن، ومن تلبس منهم بالإسلام يقول: كلامنا يوصل إلى الله والقرآن، وكلام الرسول ﷺ يوصل إلى الجنة، وكلامنا للخواص والقرآن للعوام.

وكثير منهم يقول: كلامنا برهان، وطريق القرآن خطابة، ومنهم من يقول: القرآن والسنة طريق السلامة، وكلامنا طريق العلم والتحقيق، وكثير منهم يقول: لم يكن الصحابة ﷺ معنيين بهذا الشأن، بل كانوا قوما أميين فتحوا البلاد وأقاموا الدين بالسيف، وسلموا إلينا النصوص نتصرف فيها ونستنبط منها، فلهم علينا مزية الجهاد والزهد والورع، ولنا عليهم مزية العلم بالحقائق والتأويل وإن لم يعلموا هذا من قلوبهم، والله يشهد به عليهم، ويعلمه كامنا في صدورهم، يبدو على فلتات لسان من لم يصرح به منهم[1].

(١) السابق ص ٢٩٨ بتصرف.

ومن محققي هؤلاء المتكلمين وأهل التأويل من يدعي أن الرسل يستفيدون العلم بالله من طريقهم، ويتلقونه من مشكاتهم، ولكن يخاطبون الناس على قدر عقولهم، فلم يصرحوا لهم بالحق، ولم ينصحوا لهم به، وكل من هؤلاء قد نصب دون الله ورسوله ﷺ طاغوتا، يعول عليه ويدعوه عند التحاكم إليه، فكلامه عنده محكم لا يسوغ تأويله، ولا يخالف ظاهره، وكلام الله ورسوله ﷺ إذا لم يوافقه فهو مجمل متشابه يجب تأويله، أو يسوغ، فضابط التأويل عندهم ما خالف تلك الطواغيت (١).

• أنواع التأويلات الباطلة التي من قبيل التحريف.

١- كل تأويل لا يحتمله اللفظ في أصل وضعه وكما جرت به عادة الخطاب بين العرب، كتأويلهم لفظ الأحد بأنه المجرد من الصفات، أو هو الذي لا جزء له، ولا قسيم له، فإن هذا غير معروف في لغة العرب.

٢- كل تأويل لا يحتمله اللفظ بحسب التركيب الخاص من تثنية وجمع، وإن جاز أن يحتمله اللفظ في تركيب آخر، كتأويلهم قول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ ص:٧٥. بأن اليدين هما القدرة أو النعمة؛ فإن لفظ اليد مفردا وعند إطلاقه قد يحتمل أحد هذين المعنيين، أما وهو في صيغة

(١) السابق ص ٣٠٦ بتصرف.

التثنية، وفي هذا التركيب بالذات، فإنه لم يرد في لغة العرب بهذا المعنى وتأويله بالقدرة أو النعمة تحريف للكلم عن مواضعه.

٣- كل تأويل لا يحتمله السياق المعين، وإن جاز في غيره كتأويلهم قوله تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأنعام:١٥٨. بأن إتيان الرب هنا، معناه إتيان بعض آياته، أو إتيان أمره فهذا التأويل لا يحتمله السياق بحال من الأحوال.

٤- كل تأويل لا يؤلف استعمال اللفظ في ذلك المعني المراد في لغة المخاطب، وإن كان مألوفا كاصطلاح خاص، كتأويل لفظ الأفول بالحركة في قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ الأنعام:٧٦. فإن هذا غير معهود في لغة العرب البتة، بل المعهود الأفول بمعني الغياب، فلا يجوز حمل آية من القرآن عليه؛ لأنه نوع من التلبيس.

٥- التأويل الذي لا دليل عليه من سياق أو قرينة؛ لأن هذا لا يقصده المتكلم الذي يريد في خطابه هداية الناس والبيان له.

ولا تغرنك الأشكال اللفظية المزخرفة بأنواع البديع وأجناس البيان التي حالوا بها ترويج ابتداعاتهم تحت ستار التأويل ولو حسنت نواياهم، أو محاولتهم تهجين المعنى الأصلي المسوقة له الآية، وتقبيحه

إلى نفس السامع، كتسميتهم إثبات الصفات الإلهية كما يليق بجلال الله تشبيها وتمثيلا وتجسيما، وكتسميتهم للعرش بالحيز، أو الصفات بالأعراض، وكقولهم: إن ربكم منزه عن الأعراض والأبعاض، والتركيب والتجسيم.

ولا يشك مسلم أن الله منزه عن كل نقص وعيب، وأنه موصوف بصفات الكمال التي وردت في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ، ولكن مراد هؤلاء أن يجعلوا أوصاف الكمال في القرآن السنة دالة على غير ذلك من صفات النقص وإن كانت نيتهم التنزيه، ومن أجل ذلك عطلوا ما دل عليه القرآن من نصوص الصفات، ووقعوا في محاذير لا حصر لها [(١)].

- **نتائج التأويل الباطل وتحريف الكلم عن مواضعه.**

ذكر ابن القيم أن من أعظم آفات التأويل وجناياته أنه إذا سلط على أصول الإيمان والإسلام اجتثها وقلعها، فإن أصول الإيمان ستة وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأصول الإسلام خمسة وهي كلمة الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت، فعمد أرباب التأويل إلى أصول الإيمان والإسلام فهدموها بالتأويل، وذلك أن معقد هذه الأصول تصديق

---

(١) انظر في أنواع التأويلات الباطلة مقدمة في أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٤٣ وما بعدها.

الرسول فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، فعمدوا إلى أجل الأخبار وهو ما أخبر به عن الله من أسمائه وصفاته ونعوت كماله فأخرجوه عن حقيقته وما وضع له[١].

وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الخبر، والإيمان به أصل الإيمان بما عداه، واشتمال القرآن بل والكتب الإلهية عليه أكثر من اشتمالها على ما عداه، وتنوع الدلالة بها على ثبوت مخبره أعظم من تنوعها في غيره، وذلك لشرف متعلقة وعظمته، وشدة الحاجة إلى معرفته، وكانت الطرق إلى تحصيل معرفته أكثر وأسهل وأبين من غيره، وهذا من كمال حكمة الرب تبارك وتعالى، وتمام نعمته وإحسانه [٢].

- **مثال من أول شيئا بعقله وقدمه على النقل الصحيح.**

ضرب ابن القيم رحمه الله مثالا لمن أوَّل شيئا من الشرع، وزعم أن ما أوَّله هو الذي قصده الشرع، بمن أتى إلى دواء قد ركبه طبيب ماهر ليحفظ بسببه صحة جميع الناس، أو أكثرهم، فجاء رجل فلم يلائمه ذلك الدواء الأعظم لرداءة مزاجه وشذوذه عن سائر الناس، فزعم أن بعض تلك الأدوية التي صرح باسمها الطبيب الأول فيها بعض البدائل، فأزال بعض الأدوية من ذلك المركب الأعظم، وجعل

---

(١) الصواعق المرسلة ص٣٦٥ بتصرف.

(٢) السابق بتصرف ص٣٦٥.

فيه بدله الدواء الذي ظن أنه تعافى بسببه.

وقال للناس: هذا هو الذي قصده الطبيب الأول، فاستعمل الناس ذلك الدواء المركب على الوجه الذي تأوله عليه هذا المتأول، ففسدت أمزجه كثير من الناس، فجاء آخرون فشعروا بفساد أمزجه الناس من ذلك الدواء المركب، فراموا إصلاحه بأن بدلوا بعض أدويته بدواء آخر غير الدواء الأول، فظهرت آثار جانبية لتركيبة الدواء بسبب تلك البدائل، فجاء ثالث فتأول في أدوية ذلك المركب غير التأويل الأول والثاني، فظهرت آثار جانبية أخرى معقدة ومؤلمة، فجاء متأول رابع فتأول دواء آخر غير الأدوية المتقدمة، فظهرت آثار جانبية أخرى أشد تعقيدا وإيلاما، فلما طال الزمان بهذا الدواء المركب الأعظم، وسلط الناس التأويل على أدويته وغيروها وبدلوها ظهرت منه للناس أمراض شتى حتى فسدت المنفعة المقصود بذلك الدواء المركب في حق أكثر الناس، وهذه هي حالة الفرق الحادثة في هذه الشريعة مع الشريعة [1].

وذلك أن كل فرقة منهم تأولت غير التأويل الذي تأولته الفرقة الأخرى، وزعمت أنه هو الذي قصده صاحب الشرع، حتى تمزقت معاني الشرع وأهدافه كل ممزق، وبعد جدا عن موضوعه الأول.

ولما علم صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله أن

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٤/٢٥٢ بتصرف.

مثل هذا يعرض، ولا بد في شريعته قال ﷺ: (سَتفترقُ أمتي عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلا وَاحِدَةٌ) [١]، يعني بالواحدة التي سلكت ظاهر الشرع ولم تؤوله [٢].

وأنت إذا تأملت ما ظهر في الشريعة في هذا الوقت من الكلام الفاسد العارض فيها من قبل التأويل، تبينت أن هذا المثال صحيح، وأول من غير هذا الدواء الأعظم هم الخوارج، ثم المعتزلة بعدهم، ثم الأشعرية ثم الصوفية ثم جاء أبو حامد الغزالي فطم الوادي على القرى [٣].

• لوازم القول بالتأويل الباطل.

القول بالتأويل وصرف اللفظ عن ظاهره بدعوى أنه ليس مرادا يتضمن محالات كثيرة ولوازم باطلة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

١- أن يكون الرسول ﷺ قد ترك الناس في ذلك بدون بيان للحق الواجب سلوكه ولم يهد الأمة، بل رمز إليه رمزا، وألغز إلغازا، ومعلوم أنه ليس في الرمز والألغاز بيان وهداية.

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١٣٧/٥ (٤٨٨٦)، وفي المعجم الصغير ٢٩/٢ (٧٢٤)، وابن ماجه في السنن، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم ١٣٢٢/٢ (٣٩٩٢) بلفظ قريب، وانظر السلسة الصحيحة للألباني (١٤٩٢) انظر: صحيح سنن بن ماجه (٣٩٩٣)، وصحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٢٥٢/٤ بتصرف.

(٢) السابق ٢٥٢/٤ بتصرف.

٢- أن يكون الرسول ﷺ قد تكلم في باب الصفات بما ظاهره خلاف الحق، ولم يتكلم في ذلك كلمة واحدة توافق مذهب الخلف المتكلمين من النفاة أتباع الجهمية.

٣- الطعن في القرآن الذي هو تبيان لكل شئ، وهدي ورحمة، وقول فصل ليس بالهزل، وأن من قال به فقد هدي إلى صراط مستقيم، وأين الهداية إذا كان ما يقوله المتأولون بلا دليل حقا؟!

٤- الطعن في وظيفة الرسول ﷺ التي هي البلاغ، والله وصفه بأنه قد بلغ البلاغ المبين، وقد نزل عليه قوله تعالى قبل وفاته ﷺ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة:٣. فإذا كان حقا ما ذهب إليه المتأولون بلا دليل، فأين كمال الدين وتمام النعمة؟! بل أين البلاغ المبين وأين الهدي والبيان؟!

وقد وقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وجه أولئك الذين سماهم بأهل التحريف والتبديل وقفة مسلم يغار على دينه، فمن المحال أن يكون الرسول ﷺ قد ترك الناس في هذا الأمر الأهم بلا بيان لما يجب اعتقاده حتى يأتي أمثال هؤلاء من أصحاب العقول القاصرة من المتكلمين وأتباع الجهمية ليبينوا للناس بتأويلاتهم الفاسدة ما نزل إليهم من ربهم.

ومحال أن يكون الرسول ﷺ قد استعمل في خطابه ألفاظا لا يفيد ظاهرها إلا الإلحاد والضلال والتشبيه والتجسيم .

ومحال على من أرسله الله هاديا ومبينا أن يستعمل في خطابه رموزا وطلاسم لا يفهمها المخاطب، فاللهم ثبتنا على صراطك المستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مِّن رِّجۡزٍ أَلِيمٞ ۝٥ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٦ ﴾ سبأ: ٥/٦ .